دورة عقائدية مُختصَرة تتحدَّث عن اهَم المطالب العقائدية التي يَجب على الشيعي و المؤمن ان يعتقد بها و ان يكون مُحيطا و عارِفا بِدقائقها و لو بِشَكل اجمالي .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله و صلى الله على سيّدنا و نَبيّنا محمّد و آله الاطيبين الاطهَرين , و اللعنة الدائمة على اعدائهم و اعداء شيعتهم إلى قيام يوم الدين .

كان الكلام في الدرس الماضي من دروس العقائد في معنى القضاء و القدَر , و قلتُ في حينها انّ هذا البحث له عُلقَة بِمَباحث العدل الإلهي و الجبر و التفويض و كذلك البَداء , في هذه الليلة يكون كلامنا في عقيدة البَداء التي نعتقد بها نحن الإمامية .

البحث في هذا الموضوع يحتاج إلى تفصيل كثير إلاّ انّي سأُجمِل الكلام في هذا الدرس و بقيّة الكلام تأتينا في الدرس الآتي إن شاء الله تعالى .

و لذلك بعد ان تتَبيَّن له المصالح , تتَبيَّن له الحقائق تتَغيَّر نواياه و يتَغيَّر عَزمُه و هذا كلّهُ راجع إلى جهله , إلى قلّة علمه , هذا المعنى اللغَوي و المعنى الذي يتعلّق بالإنسان , إنّما ارَدتُ ان ابدأ بِهذا لكي تكون عندنا صورة واضحة عن المعنى اللغَوي للبَداء و بِخصوص ما يتعلّق بالإنسان

_ أمّا هذا المعنى الذي يتعلّق بالإنسان قطعاً لا يمكن ان نَنسبَهُ إلى الباري سبحانه و تعالى , لا يمكن أن نقول أن الباري سبحانه و تعالى خفيَتْ عليه المصالح فبَدا له الامر الكذائي بدلاً عن الامر الاول _ او أن الباري سبحانه و تعالى لم يكُن يعلم بِحَقيقة هذا الحال او بِحَقيقة هذا الشيء فلَمّا بدَتْ له حقيقة ذلك الشيء تغيَّر امرُه و تغيَّرَتْ إرادَتُه

هذا الكلام لا يمكن ان ننسبَهُ إلى الباري سبحانه و تعالى و لذا الروايات الشريفة : تأمرُنا بالبراءة مِمّن يقول بِهذا القول _ نعم أبناء العامّة اتَّهَمونا انّنا نقول هكذا _ أمّا في رواياتنا و احاديثنا المعصومية الشريفة هناك امرٌ بالبراءة مِمّن يقول بهذا القول إنّ الباري سبحانه و تعالى خفيَتْ عليه حقائق الامور في مسألة من المسائل ثم اتّضَحَ له شيء فغَيَّر في امرِه , غيَّرَ في ارادَته , ذلك البيان الذي اتَّضَحَ للباري سبحانه و تعالى , هذا الكلام لا يقولُه إلاّ الكافر بِكَمال الله سبحانه و تعالى , إلاّ الكافر بالله و لذا الروايات امَرَتنا بالبراءة مِمّن يعتقد بِهذه العقيدة .

ان أُلَملِم اطراف الحديث باعتبار انّي تَوخّيتُ الإختصار من البداية و هذه الدروس انّما بنَيْناها على هذا المبنى , ان تكون موجزة , ان تكون مختصَرة في بيان الصورة المطلوبة منّا في عقائدنا الشيعية الاصيلة المروية عن اهل البيت صلوات الله و سلامه عليه اجمعين و إلا مسألة البَداء مسألة مُتشعّبة لذا احاول ان أُجمِل الكلام إمّا في درسَيْن و إمّا في ثلاثة دروس بِخصوص هذه المسألة , و كلّما كان الكلام اكثر اختصارا كلّما كان افضل , يُناسب المبنى الذي بنَينا عليه هذه الدروس , لذا سأعرِضُ و سأستعرِضُ لكم اهَم الآراء و إلاّ هناك آراء كثيرة في مسألة تصوير عقيدة البَداء بِحَسب ما جاء في رواياتنا المعصومية الشريفة و بِنَحو موجز اتناول الآراء .

_ او انّ عبداً من العباد قدّرَ له الباري انّ له من العمر كذا من السنين : فَزَنا _ فَبِسَبب الزنا يُقَصِّر الباري عمرَه

_ او انّه تعفَّف : فَبِسَبب التعفُّف يُطيل الباري عمرَه

_ او انّه وصلَ الرحم فَبِسبب صلَة الرحم يطيل الباري عمرَه

_ او انّه قطعَ الرحم فَبِسَبب قطيعة الرحم يُقَصِّر الباري عمره و هكذا

الشيخ الصدوق حينما تحدّث عن البَداء تحدّثَ تقريبا بِهذه المعاني التي ذكَرتُها لكم , قال :

_ بأنّه الباري سبحانه و تعالى : يريد ان يخلق هذا المخلوق هو الاول فيَخلقُه ثم يعدمُه – بعد ذلك يَخلق غيره

_ او انّه سبحانه و تعالى : يأمُر بِشَيء ثم ينهى عن نفس هذا الشيء الذي يأمُر به

_ او ينهى عن شيء ثم يأمر بِنَفس ذلك الشيء الذي قد نَهى عنه قبل هذا الامر

_ او في مسألة طول الاعمار و في مسألة قِصَر الاعمار

_ او في مسألة كثرة الارزاق و في مسألة قلّة الارزاق و هكذا

بالنتيجة يَخلُص شيخنا الصدوق إلى هذه الحقيقة , بعد ان يذكر هذه المعاني يقول : انّ المراد من الإعتقاد بالبَداء و انّه ما جاء في رواياتنا الشريفة :

_ البَداء هو النَسخ نَفسُه _ البداء هو النسخ نفسه

_ و النَسخ إنّما هو في التشريعات

يعني السيّد المرتضى هكذا يفهم البَداء : انّ البداء هو النسخ نفسه

_ النسخ يعني :

_ كَنَسخ الشرائع

_ كَالتغيّر مثلا في حُكم القِبلَة و تَحويل القِبلَة

_ كَنَسخِ آية النجوى

انّ الأُمّة أُمِرَتْ بِدَفع الصدَقات حينما تريد ان تُناجي النبي , بعد ذلك رُفِع هذا الحُكم , سائر الاحكام الاخرى المنسوخة في الشريعة , السيّد المرتضى قال بأنّ البداء هو النَسخُ نَفسُه .

_ و انّ النسخَ بَداءٌ في التشريع

تقريبا هذه العبارة المختصَرة هي التي توجِز لنا رأي السيّد المير داماد رحمة الله عليه : انّ البداء نسخ في التكوين و انّ النسخَ بداءٌ في التشريع

_ كأنّه يريد ان يقول : انّ النسخ و البَداء بِمَعنى واحد إلاّ انّ مسألة النَسخ هي عملية تغيير و عملية انقطاع لِجَريان الحُكم الاول و مَجيء حُكم جديد

_ كذلك في عالَم التكوين : نفس العملية تكون

كما يُعَبِّر هو عن ذلك بأنّ الإفاضة تنقطع في عالَم التكوين كما انّه في عالَم التشريع انّ جرَيان الحُكم ينقطع لا _ انّ الحُكم قد رُفِع

يصَوّر المسألة هكذا , يقول : انّ النَسخ عند اهل التحقيق , انّ الحُكم حينما يُنسَخ لا يعني انّ الحُكم رُفِع و إنّما وقت الحُكم انتهى , جرَيان الحُكم إلى هذا الوقت انتهى فيَأتي حُكم آخر

_ في عالَم التكوين : انّ الإفاضة تنقطع , الإفاضة عن التقدير الاول الذي يحدث فيه البَداء انقطعَتْ الإفاضة عنه فَحينما انقطعَتْ الإفاضة عنه حينئذ جاء التقدير الثاني

_ فالنَسخُ بداء في التشريع

_ و البَداء نَسخٌ في التكوين

بِعبارة اخرى السيّد المير داماد رحمة الله عليه و هذا كلامُه يَحتاج في فَهمهِ إلى فَهم نظر السيّد الداماد الفلسفي , السيّد الداماد يذهب إلى هذا القول : بأنّ عالَم الطبيعة و بأن العالَم الدنيوي يحيطُه وعاء الزمان و المكان _ الوعاء الزماني _ الآن نحن في عالَم الطبيعة , في هذا العالَم المُقيَّد , في هذا العالَم الدنيوي , في هذا العالَم السافل , بأيّ شيء قد قُيِّدَ هذا العالَم ؟

_ قُيِّدَ بالوعاء الزَماني , قُيِّد بِقَيد الزمان

_ العوالِم التي هي ارقى من هذا العالَم و اوسَع من هذا العالَم وعاءُها :

_ الوعاء الدَهري

_ ثم الوعاء السرمَدي

و هذا الكلام يحتاج إلى تفصيل لَسنا بِصَدده , نحن فقط نريد ان نفهم معنى البَداء , فالمير داماد رحمة الله عليه , قُلت :

_ هناك الوعاء الزماني

_ هناك الوعاء الدَهري

_ و هناك الوعاء السرمَدي

الوعاء الدَهري , هو الوعاء _ القَيد الدَهري او عالَم الدهر : هو العالَم الثابت المستقر الذي لا يحدث فيه التغيّر و لذا المير داماد رحمة الله عليه يقول : انّ مسألة البَداء انّما تَحدث في العالَم المُقيَّد بِقيود الزمان و المكان _ و إلاّ في العالَم الاوسَع المُقيَّد بِقَيد الدهر و الذي يكون في الوعاء الدهري , ذلك العالَم لا يَحدث فيه البَداء , البَداء فقط في عالَمنا هذا , و التَغيّر في التقدير و ان يُمسَح التقدير الاول و يأتي التقدير الثاني هذا مَخصوص بِهذا العالَم , بِعالَمنا الدنيوي , بِعالَمنا الترابي , تقريبا هذه صورة مُجملَة , انا قُلت , لا اتعرّضُ لآراء العلماء بالشكل المفصّل , الوقت لا يكفي لِتَفصيل كل الكلام , هذه تقريبا صورة موجزة عن رأي السيّد المير داماد رحمة الله عليه .

_ و عالَم التقدير : عالَم القدَر , هو عالَمُنا الدنيوي , و هو العالَم الذي تظهر فيه تفصيلات الكُليات المودَعة في العالَم العُلوي إلى الوجود الخارجي , و يشير إلى الرواية التي ذكَرناها في الدرسَين الماضيَين , حينما مرَّ أمير المؤمنين صلوات الله و سلامه عليه بِجَنب جدار مائل فَغيّرَ مَسيرَهُ من جنب الجدار المائل إلى جدار آخر _ فَقالوا : اَفرَرتَ يا أمير المؤمنين من قضاء الله ؟ قال نعم اَفرُّ من قضاء الله إلى قدَرِه _ و في وقتها شرَحتُ الرواية _ قلتُ : المقصود من القضاء هنا التقدير الكُلّي باعتبار انّ الجدار المائل , بِحَسب العِلَل الموجودة , بِحَسب القوانين الموجودة في الحياة الدنيوية _ الجدار المائل يسقط , بِحَسب القوانين _ و الجدار المستقيم لا يسقط بِحَسب القوانين الحاكمة _ أمّا إذا حدثَتْ زلزلة او هزّة هذا قانون آخر اوسَع من القانون الاول , أمّا بِحَسب القانون الجاري انّ الجدار المائل يسقط , حتى في الزلزلة سقوط الجدار المائل اول و اسبَق من سقوط الجدار غير المائل و انّ جسم الإنسان بِحَسب القوانين الطبيعية إذا سقطَ عليه الجدار , هذه البُنيَة اللحمية و هذه البُنية الجسدية تتمزَّق تحت الجدار , هذه القوانين الطبيعية , هذا في الكُليات _ فلَو بقيَ الإنسان يسير بِجَنب الجدار المائل و سقطَ عليه , جِسمُه يتمزَّق يتعرَّض إلى صدمة قد تُميتُه او قد تؤذيه اذيّة كبيرة , هذا في التقدير الكُلّي , أما _ هذا في القضاء , في الكُليات

_ لكن هذا لا يحدث إلاّ باجتماع الشرائط : إلاّ باجتماع انّ الإنسان يَمُرّ بِجانب الجدار و الجدار يسقط عليه حينئذ تُصيب الإنسان هذه الصدمة

_ أما إذا الإنسان غيّرَ هذه الشرائط , لم يأتِ بِهذه الشرائط , ان غيّرَ مكانَهُ إلى مكان آخر فَحينما يسقط الجدار لا يتعرّض الإنسان للصدمة لأنّ الشرط هنا قد تغيَّر

_ يعني انّ ايذاء الجدار للإنسان بِشَرط ان يكون بدَن الإنسان تحت الجدار قد وقَع

_ أمّا إذا كان بعيدا هذا الشرط غير موجود

_ فَشيخُنا ابن ابي جمهور الاحسائي رضوان الله تعالى عليه يقول : انّ مسألة البَداء تقَع في هذه الدائرة , في أي دائرة ؟

_ في دائرة تطبيق الكُليّات على العالَم الخارجي , على الوجود الخارجي

_ قُلنا عالَم القضاء : عالَم الكُليات

_ و عالَم القدَر : عالَم التفصيل في الوجود الخارجي

_ فيَقول انّ البداء : لا يقَع في عالَم القضاء , لا يقَع في تلكُم الكُليات و إنّما يقَع في مرحلة التطبيق , فلَو كان الإنسان مرَّ من جانب هذا الجدار المائل و سقَطَ عليه , حتماً يتأذّى , أمّا لو تغيّرَ الشرط , كالذي يدفع الصدَقَة _ كا الذي يدفع الصدقة , فالصدَقَة تدفع عنه البلاء و هذه القصة معروفة , اكثر علمائنا يستشهدون بها في مسألة البَداء لِتَوضيح الامر : نبيُ الله عيسى على نبيّنا و آله و عليه افضل الصلاة و السلام مرَّ مع اصحابه بأُناس كانوا يُظهِرون الفرَح و السرور و الغبطَة فَسأل ؟

قالوا : انّهم سيَجلبون عَروسا , يعني عندَهُم عرس , قالَ : انّهم هذا اليوم يفرحون و في غدٍ يبكون , فَقيل له لِمَ يا روح الله ؟ اصحابُه سألوه , قال : انّ هذه العروس غداً تَموت , اصحابُه صدَّقوا بِكَلامه أمّا اهل النفاق قالوا إنّ غداً لَقريب و ننظر هل يَصدُق في قوله أو لا , و فعلا جاء غد و لم تَمُت العروس , قالوا يا روح الله قد اخبَرْتَنا انّها تموت , قال قوموا بنا إلى دارِها , فذَهبوا إلى دارِها فَسألوا اهلَها ان تَخرج إليهم , قالوا لها انّ روح الله على الباب يريد ان يسألَك , فعلاً دخلَ روح الله إلى الدار و سألَها , قال ماذا فعَلتِ في يوم امس ؟ , قالت ما فعَلتُ شيئا , قال تذَكَّري , ماذا فعلتِ ؟ قالت هناك فقير , هناك مسكين يأتينا في كل ليلة جمعة , في كل اسبوع يأتينا و نحن نُعطيه الصدَقة , و جاء في الليلة الماضية , الناس مُنشغلون , اهلُها مُنشغلون بِمَسألة تهيئة عُرسها و الناس مُنشغلون , فَنادى نادى عدّة مرات لم يُجِبْهُ احَد فَتنكّرتُ و خرَجتُ إليه و اعطَيتُه ما كُنّا نعطيه في كل اسبوع فَقال روح الله , قال عيسى على نبيّنا و آله و عليه افضل الصلاة و السلام : ارفَعي ثيابَكِ هذه , ثياب عندها و إذا تَحتها افعى كبيرة قد عضّتْ ذنَبَها و ماتَت , يعني افرغَتْ سمّها في ذنَبها , فَقال لولا الصدَقَة لَكانت هذه الحيّة قد قتَلَتْها

هذه الصدَقَة هنا , هذه الحيّة موجودة , بِحَسب القواعد الكُليّة الموجودة في عالَم القضاء هذه الحيّة إذا لدَغَتها تَقتُلها _ أمّا هناك حدَثَ مانع _ انّ السم لم يَصِل إلى بدَنها , افرَغَتهُ الحيّة في

بدَنها , في ذَنَبها , لأي شيء ؟ وُجِدَ مانع , المانع و هو الصدَقَة هناك , فَهناك موانع موجودة _ هذا المانع إذا حدَث سيَحدُث تغيير في تطبيق الكُليّات الموجودة على عالَم الوجود الخارِجي

و لذا شيخُنا ابن ابي جمهور الاحسائي رحمة الله عليه يقول : انّ البداء يحدث في هذه المرحلة , في مرحلة تطبيق الكُليّات على عالَم القدَر , على عالَم الوجود الخارجي , في هذه المرحلة يحدث البَداء , هذا التصوير الذي صوَّرَ به شيخُنا ابن ابي جمهور الاحسائي مسألة البَداء بِحَسب ما فَهِمَها من الروايات المعصومية الشريفة . هناك تصوير آخر _ هناك تصوير أخر !

_ الآن تعرَّضنا لِرأي الشيخ الصدوق اولاً

_ ثانياً : السيّد المرتضى و الشيخ الطوسي

_ و ثالثاً : تناولنا رأي السيّد المير داماد رحمة الله عليه

_ و رابعاً : تناولنا رأي ابن ابي جمهور الاحسائي رحمة الله عليه .

_ فالبَداء يكون هنا في عِلم النفوس العالية

_ و النفوس العالية كما يقول الميرزا رَفيعا رحمة الله عليه , يقول : النفوس العالية هي التي عُبِّرَ عنها في الروايات او عُبِّرَ عنها في اصطلاح اهل العلم بِعالَم المَحو و الإثبات

_ النفوس العالية : هي هذه التي عُبِّرَ عنها بِعالَم المَحو و الإثبات

فَربَّما يصدر العلم بِنَحو مُجمَل إلى هذه النفوس العالية فتَكون هذه النفوس العالية قد تَحقّقَ عندها علم بالامر الكذائي لكن لم تنزِل إليها كل التفصيلات , بعد ذلك تنزِل التفصيلات

فإذا نزلَتْ التفصيلات و نزلَتْ الشرائط و نزلَتْ التدقيقات تغيَّرَ شيء من علم النفوس العالية _ فالبداء هنا _ البَداء في مرحلة النفوس العالية في تَلقّيها للعلم المُفاض من اللوح المحفوظ و إلاّ في العلم الإلهي لا يوجد بَداء _ نَحن الإمامية اصلاً لا نعتقد بأنّ البَداء في علم الله _ هذه صورة اجمالية عن القول الذي ذهبَ إليه الميرزا رَفيعا .

هذه الاسباب الملائكة لا علم لها بأنّها ستَقعْ , الملائكة علمَتْ بأنّ فلان عمرُه كذا , بأنّ فلان حَدّهُ من الرزق كذا و إنّما اخَذوا هذه المعلومات بالواسطة لأنّهم لم يستشرفوا العلم من اللوح المحفوظ مباشرة

_ هناك اللوح المحفوظ و هناك وسائط بين اللوح المحفوظ و بين هذه الملائكة , هذه الوسائط التي نقلَتْ العلم للملائكة نقلَتْ لها العلم الإجمالي , أمّا الاسباب التي ستَقعْ , و أمّا الموانع او الشرائط التي ستَتغيَّر بعد ذلك , هذا الامر لم تنقُله الوسائط إلى الملائكة فَكان علم الملائكة علماً اجماليا , حينما تتغيَّر الاسباب و حينما تندفع الموانع او تأتي موانع , تتحقّق موانع , او حينما تتحقَّق الشروط او لا تتحقَّق الشروط في أي مسألة من المسائل حينئذ يتغيَّر العلم عند الملائكة و بِذلك يكون البَداء في دائرة علم الملائكة , هذا التصوير الذي صوَّرَ به الفَيض الكاشاني رحمة الله عليه مسألة البداء و اين يقَعُ البَداء !

_ إنّما يقَع البَداء في الخَلق الثاني بِعبارة اخرى , لأنّ الخلق الاول , المراد من الخَلق الاول اهل البيت عليهم السلام , المشيئة , فالبداء يقَعُ في الخَلق الثاني بِحَسب نظر الفَيض الكاشاني باعتبار انّ العلم اين موجود ؟ في اللوح المحفوظ

_ سابقا قُلنا : اللوح المحفوظ قَلبُ المعصوم صلوات الله و سلامه عليه

_ و لذلك الفَيض الكاشاني رحمة الله عليه يقول : انّ الانبياء في بعض الاحيان قد يُخبِرون , او انّ الاولياء قد يُخبِرون بأشياء ثم يحدث فيها التغيير _ السببُ هنا _ إمّا انّ الانبياء حَدُّ علمهم إلى حد كتاب المَحو و الإثبات , يعني :

_ هناك اللوح المحفوظ

_ و هناك لَوح المَحو و الإثبات

فإن الملائكه نظروا إلى نفوس هذه _ إنّ الانبياء نظَروا إلى نفوس هذه الملائكة و اخَذوا العلم من هذه الملائكة فأخبَروا بِما تَحملُه الملائكة من علم , و إمّا انّهم لَهُم علم بِما في اللوح المحفوظ , لا بِتَمامه و انّما بِحسَب اختلاف مراتب الانبياء إلاّ انّ المصالح تقتضي ان يُخبِروا الناس بِما هو موجود في لوح المَحو و الإثبات لِتَحقُّق معاني اللطف الإلهي بعد ذلك

يعني حينما يُخبِر النبي صلى الله عليه و آله و سلم انّ هذا الحَطّاب سيَموت مثلاً , هذا اليهودي الذي مرَّ على نبيّنا صلى الله عليه و آله و سلم فَقال للنبي : السامُ عليك , و كان اليهود هكذا يُسَلِّمون على النبي , السام يعني الموت , فَما كانوا يقولون (السلام عليك) يقولون السامُ عليك يعني الموت عليك , دعاء عليه بالموت , فَقال للنبي : السامُ عليك , قال النبي صلى الله عليه و آله : (و عليك) فقالوا يا رسول الله , انّ هذا قد دَعا عليك بالموت , قال و انا قلتُ له و عليك و إنّه سيَموت غداً , و جاء اليوم الثاني و لم يَمُتْ هذا اليهودي _ لأنّه دفَعَ الصدَقة و كانت افعى في كارَة الحطب التي قد حَملَها على ظهره و كانت لا بد ان تقتُلَه لكنّه دفعَ الصدَقة .

فَحينما اخبرَ النبي صلى الله عليه و آله بِهذا الامر لا يعني انّه لم يكُن عالِما بأنّه سيَبقى حيّاً و انّه سيَدفعُ الصدَقة لكن حينما يُخبِر النبي بِهذا الحال و بعد ذلك يتغيَّر الامر و يظهر للناس البداء في احكام الله و في تقدير الله يكون هذا : من باب اللُطف للعباد لِتَشجيع العباد على انّ امكان التغيُّر حاصل في أي وقت , في أي زمان , في أي مكان , يتمكن الناس حينئذ من فعل الصالحات او يتمكن الإنسان من تغيير اوضاعهم و احوالهم فإذا غيّرَ الناس اوضاعَهُم و احوالَهُم , الباري غيَّرَ تقديرَهُ ايضا , أليس انّ الدعاء يَرُدّ القضاء , هذا المعنى في الروايات الشريفة واضح , انّ الدعاء يَرُدّ القضاء , الدعاء يرد القضاء _ يَرُدّ القضاء في حال تطبيقه , في التصوير الذي ذكرَهُ شيخنا ابن ابي جمهور الاحسائي , في حال تطبيقه , انّ هذا قد قضى الباري ان يكون فيه كذا , في حال تطبيق هذا المعنى بِسَبب الدعاء , الدعاء يَرُدّ القضاء , يَرُدّ القضاء المُبرَم اصلاً في الروايات الشريفة , فإخبارات الانبياء في بعض الاحيان و بالذات اخبارات نبيّنا و الائمّة , الآن نَحن لَسنا بِصَدد هذه المشكلة , هذه مسألة اخرى لكن لأجل الفائدة أُشير إليها , اقول اخبارات نَبيّنا صلى الله عليه و آله و اخبارات الائمّة عن اشياء يقولون انّها تَحدث ثم لا تَحدث , فيها عدّة جهات و الآن لو كان الكلام بِخصوص هذه القضية لَفَصّلتُ الكلام فيها لكن فيها عدّة جهات

_ جهة من الجهات فيها اختبار للناس , اختبار لأصحابهم , ان يبقوا على التصديق او لا يبقوا على التصديق

ـ فيها جهة ثانية , تربية نفوس اصحابهم على التسليم , يعني اولئك الذين يَملكون هذه الملَكَة , ملَكَة التسليم , هذه ملَكَة التسليم تَحتاج إلى حالات يظهر فيها التسليم الفعلي من الإنسان حتى تَثبُت هذه الملَكَة و لذلك الائمّة يقولون : إذا اخبَرناكُم بِشَيء فَوقعَ ذلك الشيء , فَحَدث فَقولوا صدقَ الله و رسوله و ابنُ رسولهِ , و إذا اخبَرناكُم بِشَيء فلم يَحدث ولم يقع فَقولوا صدقَ الله و رسولُه و ابنُ رَسولهِ

ـ و هناك مصالح اخرى تجعل الإمام او تجعل النبي صلى الله عليه و آله يُخبِر بِما في لوح المَحو و الإثبات

أمّا ربّما الانبياء السابقون , ربّما لا علمَ لهم بِما في اللوح المحفوظ إلاّ بِنسبَة مُعيّنة باعتبار انّ علوم الانبياء السابقين محدودة , ليس كَعِلم نَبيّنا و ليس كَعِلم ائمّتنا صلوات الله و سلامه عليهم اجمعين , اخبارات الانبياء السابقين في لوح المَحو و الإثبات و من هنا يَتجلّى لنا ما في قصة موسى و الخضر عليهما السلام

ـ يتجلّى لنا هذا المعنى : انّ المعلومات الموجودة عند موسى عليه السلام من لوح المَحو و الإثبات

ـ و أمّا المعلومات التي كانت عند الخضر عليه السلام كانت من اللوح المحفوظ و كانت من لوح القضاء لا من لوح القدَر

على أي حال انا لا اريد ان ادخل في كل هذه التفصيلات , انا مقصودي الاصلي ان استعرض الآراء المعروفة بين علمائنا في تصوير مسألة البَداء , هذه صورة موجزة للقول الذي ذهبَ إليه الفَيض الكاشاني رحمة الله عليه .

و تقريبا هذا هو الرأي المشهور بين علماء الإمامية في مسألة تصوير البَداء !

_ هناك اللوح المحفوظ : و الذي فيه تَمام المعلومات القطعية و فيه تمام الجزئيات , نتائج الاشياء , اسرار الاشياء , حقائق الاشياء , الكُليّات بِتَمامها , بِشَرائطها , بِكُل ابعادها موجودة في اللوح المحفوظ

_ و هناك لوح المَحو و الإثبات : و هو الذي منه تأخذ الملائكة , ملائكة الرزق , ملائكة الحياة , ملائكة الموت , سائر اصناف الملائكة يأخذون المعلومات من لوح المَحو و الإثبات

_ إذا ما ظهرَ من العبد شيء _ ظهر من العبد شيء فَحينئذ يظهر من الباري شيء يُظهِرُه اين ؟ يُظهِره من اللوح المحفوظ ينقلُه إلى لوح المَحو و الإثبات

_ و لذلك شيخُنا المفيد رحمة الله عليه في (اوائل المقالات) يُصَوِّر البَداء بِهذه الصورة , يقول : البَداء بأنّه إذا ظهرَ من العبد شيء ظهرَ من الباري شيء ايضا , إذا ظهرَ من العبد عمل صالح ظهرَ من الباري تغيير في تقديرات ذلك العبد من جهة الصحة , من جهة المرَض , من جهة طول العمر , من جهة قِصَر العمر , من جهة الإبتلاء , من جهة التقتير في الرزق , من جهة الوفرة في الرزق و هكذا سائر الشؤونات التي تُحيط بِحياة الإنسان , بِحياة المخلوق , فشَيخُنا المفيد رحمة الله عليه يصوِّر هذا المعنى , تقريبا نفس المعنى الذي يذكرُه الشيخ المجلسي رحمة الله عليه لكن التعبير يختلف و إلاّ المضمون و الحقيقة واحدة , مثل ما انّ الشيخ المجلسي يُصَوِّر هذا المعنى بِوجود لوح محفوظ و بِوجود لوح المَحو و الإثبات و الملائكة تأخذ عِلمَها من لوح المَحو و الإثبات , فإذا تغيَّر شيء من حال العبد , العبد غيَّرَ شيئا من حاله , الباري يُغيِّر شيئا من تقديره , في لوح المَحو و الإثبات و إلاّ التقدير الاصلي في اللوح المَحفوظ لأنّ اللوح المحفوظ يستند إلى العلم الإلهي الازَلي , العلم الإلهي الازَلي مُحيط بِكُل شيء , مُحيط بِحقائق الاشياء , بِبُدوِّها , بِخَواتمها , باسبابها , بِكُل شيء قبل ان توجَد , الله عالِم بِكُل شيء , قبل ان توجد هذه الكائنات , اَليس انّه كانَ و لم يكُن معَهُ شيء , في تلكم المرحلة هو كان عالِما سبحانه و تعالى بِكُل الاشياء و هذا العلم المحيط بِكُل الاشياء اين تَجلّى ؟ تَجلّى هذا العلم , ظهرَتْ انوارُه , انوار هذا العلم في عالَم اللوح المحفوظ و الذي عبَّرنا عنه فيما سلَف و قُلنا حقيقة اللوح المحفوظ قلب المعصوم , أليس

أمير المؤمنين صلوات الله و سلامه عليه هو الذي يقول : (انا اللوحُ المَحفوظ _ أنا اللوح المحفوظ) في اكثر من نَصٍّ , في اكثر من خطبة , في اكثر من رواية مروية عن سيّد الاوصياء صلوات الله و سلامه عليه يُعَبِّر عن هذه الحقيقة (انا اللوح المحفوظ) و من هنا تتَّضح لنا المعاني انّ الائمّة هُم الذين علَّموا الملائكة لأنّ الملائكة يتعلَّمون من الائمّة اصلاً بالواسطة

_ عِلمُ المعصوم يتجلّى في اللوح المَحفوظ

_ و ما في اللوح المَحفوظ يفيض على لوح المَحو و الإثبات

_ و الملائكة تأخذ من لوح المَحو و الإثبات

فإذا ظهرَ من العبد شيء ظهرَ من الباري شيء و هذا معنى البَداء , البَداء قلتُ في اول كلامي في المعنى اللغَوي : بَدا لهُ ظهرَ له , ظهرَ من العبد شيء , ظهرَ من الله شيء لِهذا العبد , ظهرَ للعبد و إلاّ ليس ظهرَ لله سبحانه و تعالى , فالاشياء ظاهرة له , ليس هناك من شيء خَفيّ على الباري سبحانه و تعالى حتى يظهر للباري جلَّتْ قدرَتُه و تعالى شأنُه و تقدَّس , انّما ظهر من العبد شيء في هذا العالَم فيَظهر من الباري في تقديراته لِمَلائكته , ظهرَ من عبدهِ , هذا المخلوق البشري _ فَظهرَ من الله سبحانه و تعالى لِمَلائكته الذين هُم عَبيدُه , فَبِهذا ترتسم لنا الصورة الإجمالية لِمَعنى البَداء في كلام شيخنا المجلسي رحمة الله عليه .

_ الآن اصبحَ عندنا استعراض لِرأي الشيخ الصدوق _ السيّد المرتضى رحمة الله عليه و الشيخ الطوسي _ و الميرداماد رحمة الله عليه _ و ابن ابي جمهور الاحسائي _ و الميرزا رَفيعا _ و الفَيض الكاشاني رحمة الله عليه و هذا آخر رأي ذكَرتُه _ رأي شيخنا المجلسي رحمة الله عليه .

الآن ايُ عمَل , ايُ فعل , ايُ مَخلوق , مَجموعة من العوامل , يعني الآن مثلاً : المولود كيف يولَد , أليس هناك مجموعة من العوامل تشترك في ولادة هذا المولود , مجموع هذه العوامل و لذلك إذا تأخّرَتْ بعض هذه العوامل لا تتحَقّق , الولادة مثلاً , إذا تأخّرَتْ بعض هذه العوامل لا تَنبُت هذه البذرة التي وُضِعَتْ في الارض , مجموع العوامل التي تؤدي إلى ايجاد هذا الشيء , ايجاد هذه العلّة يُقال له باصطلاح الفلاسفة بالعلّة التامة

_ العلّة التامة مجموعة هذه العوامل التي هي دخيلة في ايجاد هذا الشيء _ فَهناك عِلَل تامة للأشياء _ هذه العِلَل التامة إذا ما تحقَّقَتْ _ إذا ما تحقّقَتْ هذه العِلَل التامة بِكامل شرائطها , بِكامل اجزائها فإنّ الشيء لا بد ان يكون

_ و هذا الشيء لا يحدث فيه البداء إلاّ ان تَحدث المعجزة _ و المعجزة خَرق للقانون و نحن لَسنا بِصَدد الحديث عن خرق القانون , نحن بِصَدد الحديث عن السُنَن الثابتة و إلاّ المعجزة خَرقٌ للقانون , الكلام ليس عن خَرقِ القانون , خَرقُ القانون داخل في قدرة الباري سبحانه و تعالى , كلامنا في النواميس الثابتة , إذا تحقّقَتْ العلّة التامة للشيء لا بد ان يتحقّقَ ذلك الشيء , يعني إذا تَحقّقَتْ جميع العوامل لإيجاد هذا الكتاب . و هذا مثال يُقَرِّب المعنى . من قَبيل المؤلِّف , و المؤلِّف ايضا يملك القدرة العلمية و يملك القدرة على التعبير و عندَهُ اليد التي يكتب بها , و عندَهُ القلَم و عندَهُ المِداد و عندَهُ الورَق و بعد ذلك يَمُرّ بِمَراحل الطبع إلى هذه الحالة , جميع هذه العوامل إذا تَحقّقَتْ يُقال هذه علّة تامة لِهذا الكتاب , إذا تَحقّقَتْ هذه العوامل لا بد ان يوجَد الكتاب إلاّ ان يكون هناك خلَل في بعض العوامل لا يتحقَّق هذا الكتاب كأنْ يوجَد خلَل مثلاً أنه انّ المطبعة التي طُبِعَ بها هذا الكتاب ليس فيها شيء من الحبر , حينئذ لا يُطبَع الكتاب , أمّا إذا اجتمعَتْ العوامل التي تُشَكِّل بِمَجموعها العلّة التامة لا بد من تَحَقُّق هذا الشيء و حينئذ لا يَحدث البَداء في مثل هذا الشيء

_ أمّا إذا حدَثَ تَخلُّف في بعض اجزاء هذه العلّة التامة حينئذ يَحدث البَداء , المثال الذي مرَّ في رواية أمير المؤمنين صلوات الله و سلامه عليه : اَفِرُّ من قضاء الله إلى قدَرِه _ لو انّ الإنسان يبقى بِجانب الجدار المائل , جدار مائل و سقَط , و انسان و جِسمُه إذا سقطَ عليه الجدار يتعرَّض

للصدمة , تَحقّقَتْ العلّة التامة , الإنسان تعرَّض للصدمة , ربّما لو كان الإنسان عليه واقية من حديد , من الصُلب ربّما لا يتعرَّض لأذيّة , لكن بدَن الإنسان بدون واقية و بدَن الإنسان بِطَبيعته إذا ما تعرَّض لِصَدمة قوية يتأذّى , ربّما تؤدي إلى إهلاك الإنسان و هذا جدار مائل و من طبيعة الجدار المائل يسقط و سقطَ على الإنسان , تَحقّقَتْ العلّة التامة , لَمّا سقطَ الجدار على الإنسان لا بد ان يصدم الإنسان , لا بد ان يتعرَّض للصدمة , إمّا ان يَموت , إمّا ان تُصيبَهُ اذيّة , في مثل هذه الحالة لا يحدث البَداء

_ و المعاجز ايضا : جارية بِعلم الله و بإرادة الله و بِحكمَة الله لكن لها قانونها الذي نُسَمّيه بِقانون المعجزات , أمّا كلامنا الآن عن هذا النواميس , عن هذا الناموس الطبيعي , عن هذه القوانين الجارية في عالَمنا , الثابتة , فإذا تَحقّقَتْ العلّة التامة لا بد من ان يتحقّق المعلول , إذا حدثَ خلَل في المُقتَضي او في الشرط او في المانع , من جهة عدَمهِ او من جهة وجوده , إذا حدثَ خلَل في هذه الامور هنا يَحدث البَداء و لذلك هذا الذي حملَ كارة الحطب على ظهره كانت الافعى موجودة _ الأفعى موجوده , مُقتَضي موجود , و الافعى تلدَغُه , و السم موجود في الافعى , لا بد انّه , مانع غير موجود يعني ليس بينه و بين الافعى حاجب بعيد لكن لَمّا دفعَ الصدَقة , هذه الصدَقة هي التي منعَتْ _ هذه الصدقه هي التي منعت , هذه الصدَقة ازالَتْ الشرط او اوجدَتْ مانعا , إمّا انّها ازالَتْ الشرط او اوجدَتْ مانعا و بالاحرى اوجدَتْ مانعا لأنّه التعبير في الرواية انّ الصدّقة تدفع البلاء , يعني انّها اوجدَتْ مانعا , هناك مانع , هناك دَفع , الدفع يعني وجود مانع , لكن هذه الافعى كانت لا بد ان تلدغ هذا الحَطّاب لأنّه لا يوجد مانع من ان تلدَغهُ لكن لَمّا دفعَ الصدَقة هذه الافعى لم تلدَغْهُ , تَحقّقَ مانع , فإذا تحقق _ حدثَ البداء , يعني في حال عدم تَحقُّق هذه الامور من المُقتَضي و الشرط و عدم المانع , إذا صارَ اختلال في واحدة من هذه الامور لا يتحقَّق المعلول حينئذ , تقريبا هذا التصوير الإجمالي الذي صوَّرَ به السيّد الطباطبائي رحمة الله عليه مسألة البَداء .

, البَداء ليس في علم الله سبحانه و تعالى , عِلمُه الازَلي مُحيط بِكُل شيء , لا يَخفى عنه شيء و لا يَخفى عليه شيء , هذه الآراء نستنتج منها هذه الحقيقة , انّ علماءنا رضوان الله تعالى عليهم على اختلاف توجيهاتهم لِمَعنى البَداء و على اختلاف شَرحِهِم و تصويرهم لِمَعنى البَداء سواء بِصورة فلسفية او بِصورة كلامية او بِصورة روائية , بأيّ صورة صوَّروا بها معنى البَداء كلّهُم يُجمِعون على هذه الحقيقة , انّ البَداء لا يقَعُ في العلم الإلهي و إنّ العلم الإلهي مُنَزّه , الذات الإلهية مُنَزَّهة عن هذا المعنى , هذا اولاً .

_ و ثانياً : نَجد انّ الآراء هذه على اختلاف تصويراتها , كلُّها تشير إلى انّ البَداء انّما هو ظهور للمخلوقات , يعني يظهر للمخلوقات انّ الامور تغيَّرَتْ و ليس الامر يظهر إلى الله سبحانه و تعالى , ليس الظهور إلى الله , الظهور للمخلوقات سواء كان هذا الظهور للإنسان كإخبار النبي لأصحابه و بعد ذلك تبَيَّنَ لهم الامر , او ظهور هذا الامر للملائكة , لِعزرائيل عليه السلام الذي كان يعلم انّ فلان عمرُه كذا بعد ذلك دفعَ الصدَقة فَطالَ عمرُه , انّ هذا الظهور الجديد و هذا التغيُّر في المعلومات ليس لله , كل هذه الآراء تشير إلى هذه الحقيقة , هذا الظهور للمخلوقات , إمّا للإنسان , إمّا للأنبياء حينما تَتَّصل بهم الملائكة او حينما يطَّلعون إلى الالواح التي كُتِبَ فيها العلم , إلى لوح المَحو و الإثبات , او نفس الملائكة ايضا حينما يتغيَّر المعلوم الثابت الموجود في نظَرِهم في لوح المَحو و الإثبات , يعني حينما تنجلي حقيقة ما في اللوح المَحفوظ و تظهر في لوح المَحو و الإثبات , هذه المسألة الثانية

_ فالمسألة الاولى : انّ البَداء ليس في علم الله , هذا اولاً

_ و المسألة الثانية : انّ الظهور و التَغيُّر إمّا للبشر على اختلاف مراتبهم , من عامة الخَلق إلى خواصّهم إلى الانبياء فالملائكة

_ و المسألة الثالثة _ المسألة الثالثة : هو انّ الآراء لا تَكاد تتَّفق على صورة واحدة و إن كانت اجمالاً مُتَّفقة على وجود لَوح محفوظ _ على وجود لوح محفوظ و وجود لوح المَحو و الإثبات و انّ التَغيُّر يكون في مرحلة المَحو و الإثبات حين التطبيق في الوجود الخارجي و إلاّ في علم الله لا يوجد تَغيُّر , التَغيُّر فقط في تطبيق السُنَن التي يراها الملائكة في لوح المَحو و الإثبات في الواقع

الخارجي , كما عبّرَ ابن ابي جمهور الاحسائي انّه في مرحلة تطبيق الكُليّات على العالَم التفصيلي في الوجود الخارجي في العالَم الدنيوي , لكن يا ترى , هذه حقائق الآن استَنتجناها من خلال هذه الدراسة الإجمالية للآراء لكن يا ترى هذا الإختلاف في التصوير ما هو _ الإختلاف في التصوير ما هو ؟

لأنّ البَداء , حقيقة البَداء لا تُدرَك كما انّ حقيقة القدَر و القضاء لا تُدرَك , و مرَّتْ علينا الروايات في انّ القدَر و في انّ القضاء إنما هو سِرٌّ من سرِّ الله , إنّما هو بَحر عميق فلا تدخُلْ في هذا البحر , فلا تَسبُرْهُ هذا البحر , و إنّه ظلُمات في ظلُمات لا يُدرِكها احَد من الخَلق , و إنّ الذي يريد ان يعرف هذه الاسرار , هذه اسرار الباري لا تتمكن العقول البشرية من الوصول إليها , فالبَداء واقع في هذه الدائرة , في دائرة الحقائق الخَفيّة عن قدرة التفكير الإنساني , يعني مهما اوتيَ الإنسان من قدرة فكرية و من قدرة علمية لا يتمكن من الإحاطة بأسرار البَداء لكن هذا الإختلاف في التصوير راجع إلى الروايات الشريفة , و انا قلتُ لكم فيما سبَق انّ كثير من المطالب العقائدية و كثيرا من المعاني العلمية و الفلسفية الروايات لم تُحَدِّثنا عن حقائقها و إنّما حدَّثَتْنا عن آثارِها فقط

_ حقائق الاشياء شيء

_ و آثار الاشياء شيء ,

كما قلتُ لكم : مثلاً انّ العقل لِحَدّ الآن لا يَملك فيلسوف من الفلاسفة تعريفا للعقل و لا حتى في الروايات و لا حتى في الآيات و إنّما الذي جاء في الآيات و جاء في الروايات و جاء في كلام الفلاسفة هو الكلام عن آثار العقل , تعريف العقل بآثاره , تعريف القلب بآثاره , تعريف العرش بآثاره , تعريف الكرسي بآثاره , العرش ما حَقيقتُه ؟ نَحن لا نعلم حقيقة العرش ما هيَ , الكرسي ما حَقيقتُه ؟ نَحن لا نعلم حقيقة الكرسي ما هيَ , اصلاً ما حقيقة الوجود _ حقيقة الوجود , ما كُنه الوجود ؟

_ نَحن نَملك فقط تعريف بالآثار لِكثير من المعتقَدات و من هذا القبيل كذلك عقيدة القضاء و القدَر , عقيدة البَداء , نَملك شيئا من المعلومات لكن هذه المعلومات تَدور في فلَك هذه الحقيقة

, لا تُصيب الواقع على اكمَلهِ و لذلك تَجِدون انّ هذه التصويرات لِعَقيدة البَداء و لِمَعنى البَداء لا تَكاد تَتَّفق في كل جزئياتها و إن كانت مُتَّفقة في الجوهر و الحقيقة

_ لأنّه هذه الآراء كلُّها تشير إلى انّ البَداء لا يقَعُ في علم الله

_ و انّ البَداء إنّما هو ظهور في تَغيُّر المعلومات للمخلوقات , للناس او للملائكة او لِسائر المخلوقات الاخرى

_ و انّ هناك لوحاً محفوظ فيه الحقائق الثابتة

_ و هناك لوح المَحو و الإثبات الذي يَحدث فيه التَغيُّر و الملائكة تَستفيض العلم من هذا اللوح .

على أي حال وقت الدرس انتهى , بِهذا القدَر في هذا اليوم اكتَفي من بحث موضوع البَداء في عقائدنا الشيعية الاصيلة في روايات اهل البيت , إن شاء الله تَتمّة الكلام تأتينا في الاسبوع القادم , في يوم الثلاثاء الآتي إن شاء الله إذا بَقينا احياء , إن شاء الله نُكمِل الكلام في هذه المسألة .

و آخر دعوانا ان الحمد لله ربّ العالَمين

ملاحظة :

(1) الافضل مراجعة الكاسيت لاحتمال وجود بعض الاخطاء المطبعية .

(2) و قد تكون بعض المقاطع غير مُسجَّلَة من الوجه الاول و الثاني للكاسيت فَيُرجى مراعاة ذلك .

(و نسألُكم الدعاء لِتَعجيل الفرَج)